بناء الحشود الظافرة

على منهج سيّد الشهداء عليه السلام

دراسة في أهداف الحشود العسكرية الإسلامية ومنهجيّتها

تأليف

علي داخل السّلميّ

رقم الإيداع بدار الكتب والوثائق ببغداد(٨٦٥) لسنة ٢٠١٧

العنوان: .... الحشود الظافرة وفق منهج سيّد الشّهداء.

تأليف: .... علي داخل السّلميّ.

الطبعة: .... الاولى.

المطبعة:.......................شركة ضوء الشمس للطباعة والنشر المحدودة.

عدد النسخ: ١٠٠٠

حقوق النشر والتوزيع محفوظة للناشر

العراق ـ البصرة

الفصل الاول
مفهوم الظفر ومعاييره

إختلاف المفاهيم
بين المنهج الإلهي وبين غيره

إنَّ حبّ الكمال امرٌ فطري عند البشر يدفعهم إلى السعي نحوه، و الفرق بين سعي وآخر ينتج في كثير من الأحيان من الفهم المتابين للمصداق الذي يحقق الكمال، فالذي يؤمن بأن الفوز مصداق للكمال ويعرَّف هذا الفوز على انّه كسب المنفعة الشخصية على حساب الآخر، سوف يسعى نحو هذا الفهم بوصفه يحقق كمالاً له، والذي يؤمن بأنّ الحصول على المال بالاحتيال فوز، تراه يسعى للاحتيال بوصفه سعياً نحو الكمال، بينما الذي يعتقد بأنّ الفوز والكمال هو بالتصدّق بالأموال، نراه يسعى إلى التصدّق بوصفه كمالاً له، فالمشكلة في كثير من الأحيان ناتجة عن الاختلاف في المفاهيم، أو بمقدار الإيمان بها، وفي هذا ورد عن أمير المؤمنين (عليه السلام): «**يَرَى اَلْغُنْمَ مَغْرَماً وَ اَلْغُرْمَ مَغْنَماً**»[1]

أي: إنّ المشكلة أنّ هذا يرى الغنيمة مغرماً، فإذا اعطى زكاة لا يعدّها غنيمة وفوزاً وفائدة لأنها تنفعه في الآخرة، بل يراها غرامة وخسارة.

القرآن يقارن بين الرؤيتين

ولو تبصّرنا في الآيات القرآنيّة لتجلّى لنا هذا المعنى بوضوح، كما في قوله تعالى ﴿**وَمِنَ الْأَعْرَابِ مَنْ يَتَّخِذُ مَا يُنْفِقُ مَغْرَمًا وَيَتَرَبَّصُ بِكُمُ الدَّوَائِرَ عَلَيْهِمْ دَائِرَةُ السَّوْءِ وَاللهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ * وَمِنَ الْأَعْرَابِ مَنْ يُؤْمِنُ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَيَتَّخِذُ مَا يُنْفِقُ قُرُبَاتٍ عِنْدَ اللهِ وَصَلَوَاتِ الرَّسُولِ**

١) نهج البلاغة، ص ٤٩٨.

أَلَا إِنَّهَا قُرْبَةٌ لَهُمْ سَيُدْخِلُهُمُ اللهُ فِي رَحْمَتِهِ إِنَّ اللهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾(التوبة ٩٨ - ٩٩)، إذْ تذكر الآية فئتين من الاعراب، إحداهما تفرض أنّ الإنفاق غرماً وخسارة، وأخرى تتخذ ما تنفق قربات عند الله وصلوات الرسول صلى الله عليه وآله، فشتّان بين من يعدّ الصدقة من مصاديق الخسارة، وبين من يعدّها من مصاديق الفوز والنجاة والقرب من الله[١].

و في قوله تعالى:﴿**وَقَالَ الْمَلأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَوْمِهِ لَئِنِ اتَّبَعْتُمْ شُعَيْباً إِنَّكُمْ إِذاً لَخاسِرُونَ فَأَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ فَأَصْبَحُوا فِي دارِهِمْ جاثِمِينَ الَّذِينَ كَذَّبُوا شُعَيْباً كَأَنْ لَمْ يَغْنَوْا فِيهَا الَّذِينَ كَذَّبُوا شُعَيْباً كَانُوا هُمُ الْخاسِرِينَ**﴾(الأعراف ٩٠-٩٢)يتبين انّ اتّباع شعيب -على نبينا وآله وعليه السّلام- هو خسارة بحسب المفهوم الذي يدعو لهُ الكافرون، بينما بحسب البيان الإلهي، فإن الذين كذبوا هم الخاسرون.

وأيضا قوله تعالى:﴿**وَلَئِنْ أَطَعْتُمْ بَشَراً مِثْلَكُمْ إِنَّكُمْ إِذاً لَخاسِرُونَ**﴾(المؤمنون٣٤)، فكأنّ فيه بيان لأحد معايير الخسارة التي يروّج لها المخالفون للمنهج الإلهي.

و الآيات التالية تبيّن ببيانٍ رائعٍ، كيف أنّ البعض يعملون ما يعملون

١) ولعل في وصف الثانية بالإيمان دون الاولى بياناً بأن حيثية الاعتقاد والإيمان بالله تعالى والإيمان بالحياة الآخرة هو الذي جعل الفئة الثانية تعتبر الانفاق بما اعتبرته، فحتى لو كانت كلا الفئتين تبحثان عن الافضل فإن من ختم على قلبه وصارلا يؤمن بالله وبالحياة الآخرة وبالثواب والعقاب الاخروي كيف له أنْ يعتبر الانفاق مغنما له وهو يرى بأن ماله ذهب من يديه!.

من الأعمال التي يتوقّعون انّها تجعلهم فائزين، ولكنّهم ومن حيث لا يعلمون يرتكبون ما يجعلهم خاسرين، إذ يقول تعالى: ﴿**قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُمْ بِالْأَخْسَرِينَ أَعْمَالًا الَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا**﴾(الكهف ١٠٣ - ١٠٤).

وبالاطلاع على الرِّوايات يتبيّن هذا المفهوم أيضاً، فقد روي أنهم ذبحوا شاة على عهد النبي صلى الله عليه وآله وتصدقوا بها إلا كتفها، فَقَالَ النَّبِيُّ صلى الله عليه وآله: «**مَا بَقِيَ ؟ قَالَتْ [عائشة] : مَا بَقِيَ مِنْهَا إلا كَتِفُهَا.قَالَ[صلى الله عليه وآله]:بَقِيَ كُلُّهَا غَيْرَ كَتِفِهَا**»[١]، وهنا نلاحظ كيف أنّ المُتصدَّق به يعتبر باقياً بالمفهوم الإسلامي، ولذا فهو فوز، بينما الجزء الباقي(الكتف)،هو الفاني في هذا المفهوم .

شروط الظفر الحقيقي

وورد عن أمير المؤمنين عليه السلام: «**لَا ظَفَرَ مَعَ بَغْيٍ**»[٢]،

وبغى يأتي بمعنى تجاوز الحدَّ واعتدى أو تسلط وظلم[٣]، وكأنّ في الرواية دلالة على إنّ الظفر يكون مشروطاً بعدم تجاوز الحد، أو الاعتداء والظلم، وإذا فُقِدَ هذا الشرط فلا يُعَدُّ ظَفَراً في المنهج الشرعي، وإن كان عند غيره ظَفَراً.

وروي ايضاً عن أمير المؤمنين عليه السلام:«**مَا ظَفِرَ مَنْ ظَفِرَ الْإِثْمُ بِهِ،**

---

١) ميزان الحكمة – محمد الريشهري – ج ٤ – ص ٣٣٥٤.
٢) غرر الحكم و درر الكلم، ص ٧٦٩.
٣) المعجم الوسيط.

وَالْغَالِبُ بِالشَّرِّ مَغْلُوبٌ»(١)، وفي الرواية بيان رائع قدْ يدلّ على أنّ الذي يرتكبُ إثماً من أجل أن يحقّق ظَفَراً لن يظفر في الحقيقّة، وما حقّقه لا يُعدّ ظَفَراً أبداً، والغالب بالشر هو المغلوب في الواقع.

و في رواية عن الإمام ابي جعفر الباقر عليه السلام: «...فَجَاهِدُوهُمْ بِأَبْدَانِكُمْ وَ أَبْغِضُوهُمْ بِقُلُوبِكُمْ غَيْرَ طَالِبِينَ سُلْطَاناً وَ لَا بَاغِينَ مَالًا وَ لَا مُرِيدِينَ بِظُلْمٍ ظَفَراً حَتَّى يَفِيئُوا إِلَى أَمْرِ اللهِ وَ يَمْضُوا عَلَى طَاعَتِه...»(٢)

و روي عن الإمام علي عليه السلام: «وَ اللهِ مَا مُعَاوِيَةُ بِأَدْهَى مِنِّي وَ لَكِنَّهُ يَغْدِرُ وَ يَفْجُرُ وَ لَوْ لَا كَرَاهِيَةُ الْغَدْرِ لَكُنْتُ مِنْ أَدْهَى النَّاسِ وَ لَكِنْ كُلُّ غُدَرَةٍ فُجَرَةٌ وَ كُلُّ فُجَرَةٍ كُفَرَةٌ وَ لِكُلِّ غَادِرٍ لِوَاءٌ يُعْرَفُ بِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَ اللهِ مَا أُسْتَغْفَلُ بِالْمَكِيدَةِ وَ لَا أُسْتَغْمَزُ بِالشَّدِيدَةِ»(٣).

وروي عنه عليه السلام: «**وَ لَقَدْ أَصْبَحْنَا فِي زَمَانٍ قَدِ اتَّخَذَ أَكْثَرُ أَهْلِه الْغَدْرَ كَيْساً وَ نَسَبَهُمْ أَهْلُ الْجَهْلِ فِيهِ إِلَى حُسْنِ الْحِيلَةِ مَا لَهُمْ قَاتَلَهُمُ اللَّهُ قَدْ يَرَى الْحُوَّلُ الْقُلَّبُ وَجْهَ الْحِيلَةِ وَ دُونَهَا مَانِعٌ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ وَ نَهْيِه فَيَدَعُهَا رَأْيَ عَيْنٍ بَعْدَ الْقُدْرَةِ عَلَيْهَا وَ يَنْتَهِزُ فُرْصَتَهَا مَنْ لَا حَرِيجَةَ لَهُ فِي الدِّينِ**»(٤)، والحُوّلُ القُلَّب: «البصير بتحويل الامور وتقليبها»(٥)، فالذي يكون بهذا الشكل يُدرك وجه الحيلة، ولكن يحول بينه وبين

---

١) نهج البلاغة (للصبحي صالح)، ص ٥٣٣.

٢) الكافي، ج٥، ص ٥٦.

٣) نهج البلاغة، ص ٣١٨.

٤) نهج البلاغة، ص ٨٣.

٥) هامش نهج البلاغة، ص ٥٨٠.

الحيلة شرع الله عَزّ وجلّ كونه ملتزماً به، فيدعها مع إنّه قادر عليها، وأما الذي لا يلتزم بشرع الله سبحانه وتعالى، ولا يتحرَّز من الآثام، يستغل تلك الفرصة ويعمل بتلك الحيلة.

أمير المؤمنين عليه السلام يسقي أعداءه

ومما يُروى من سيرته عليه السلام أنه لما ملك أهل الشام شريعة الماءِ عليه بصفّين، أرادوا قتله و قتل أهل العراق عطشاً، إذ سألهم أمير المؤمنين عليه السلام وأصحابه أن يشرعوا لهم شرب الماء، فيشرب الجيشان على السواء.

فقال معاوية: لا والله، ولا قطرة، حتّى يموتوا عطشاً، فضاربهم على الشريعة حتى أزالهم عن مراكزهم بعد قتال ذريع، سقطت فيه الرؤوس والأيدي، وملك عليهم الماء، وصار أصحاب معاوية في الفلاة لا ماء لهم، فقال له أصحابه وشيعته: امنعهم الماء يا أمير المؤمنين، كما منعوك، ولا تسقهم منه قطرة، واقتلهم بسيوف العطش، وخذهم قبضاً بالأيدي، فلا حاجة لك إلى الحرب.

فقال عليه السلام: «لا والله، لا أكافئهم بمثل فعلهم، افسحوا لهم عن بعض الشريعة، ففي حدّ السيف ما يُغني عن ذلك»،[1] وفي شرح النهج انّه عليه السلام قال: «إني لا أستحلُّ منعهم الماء»،[2] فأفرج لهم عن الماء، فوردوه، ثم قاسمهم الشريعة شطرين بينهم و بينه.

مع أنّه كان بإمكانه معاملتهم بالمِثل، ولكنّ أمير المؤمنين أبى ذلك،

١) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد، ج١، ص ٢٤.
٢) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد، ج٢، ص ٣١٣.

لأنَّ الذي يسير على المنهج الإلهّي لا ينظر كما ينظر غيره، ولا يستغلّ كما يفعل غيره، بل تفيض أفعاله قيماً ومبادئ، ويكون ميدانه وساحة حربه لوحة تمثّل أبهى صور القيم والمبادئ الإلهية الحقَّة.

وحسبكم هذا التفاوتُ بيننا وكلُّ إنـاءٍ بالذي فيه ينضحُ

وفي شرح النهج « ثلاثة من كُنّ فيه لم يفلح في الحرب:

١- **البغي**: قال الله تعالى: ﴿**إِنَّمَا بَغْيُكُمْ عَلَى أَنْفُسِكُمْ**﴾ .

٢- **و المكر السيئ**: قال سبحانه: ﴿**وَلَا يَحِيقُ الْمَكْرُ السَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِ**﴾

٣- **و النكث**: قال تعالى: ﴿**فَمَنْ نَكَثَ فَإِنَّمَا يَنْكُثُ عَلَى نَفْسِهِ**﴾»[1]

نتيجة ما ذُكِر

إذاً، فالنتيجة هي أنّ التدبّر في الآيات القرآنية المباركة والروايات يؤيد بأن الفوز والظفر المرغوبين في المنهج الشرعي يغايران الفوز والظفر في المناهج الأُخر إلى درجةٍ قد تصل إلى التباين الكلّي في بعض الأحيان، فلا يمكن أن يكون فوز بالمعنى الإلهي بالالتفاف على المبادئ الحقَّة التي رسمها الله تعالى، فطريق الفوز وطريق الظفر هو الطريق الإلهي حصراً، وأما مَن يسير في طرق أُخرى غير ما أراد الله، فلا يمكن أنْ يكون فائزاً، بل هو خاسر، ولو تشبّث ببعض مظاهر الفوز و الظفر الأُخرى.

---

١) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد؛ ج١٥ ؛ ص٩٧، وهذا القول اورده الشارح، وليس من كلامه عليه السلام.

و يتبيّن كذلك، أنّ المغايرة في فهم ماهية وحقيقّة أمر معيّن يؤدّي إلى المغايرة في التطبيق إلى درجةٍ قدْ تصل بشخص إلى الفوز بالحياة الأبدية والخلود بالنعيم، وتصل بشخص آخر إلى الخسارة الأبدية والخلود في جهنم[١].

وبعد هذا البيان، لو سألنا السؤال التالي من باب المثال التطبيقي، بأنه وفقاً لمفهوم الفوز الشرعي، مَن هو الذي فاز في عاشوراء؟ والجواب يكون حتماً بأنّ مَن فاز في كربلاء هو الإمام الحسين(عليه السلام) ومَن معه، والذي خسر الخسران المبين هو يزيد لعنه الله وشيعته، وكما قيل «إنّ يوم عاشوراء هو يوم إنتصار الدّم على السيف»، فالسيف الذي يعلو في الباطل ليحقّق ما يفسّره البعض فوزاً، هو في الحقيقّة سيف خاسر مهما علا، والدّم الذي يُسال في سبيل المبادئ الإلهية هو الفائز.

ظنوا بأن قتل الحسينَ يزيدُهمُ　　　لكنّما قتل الحسينُ يزيدا

فحذاري أيها المحب والموالي أنْ تسير على منهج يزيد وتعدّ نفسك منتصراً إذا رأيت سيفك علا بالباطل وحقّق ما حقّق، فالغالب بالشرّ هو المغلوب.

---

١) بل إنّ هذه المغايرة سبب للتباين في النيات أيضاً، فالذي يؤمن بأنه لا مؤثّر في الوجود إلّا الله ترى تفكيره ونيّته تختلف عن مَن لا يؤمن بذلك، ولو تشابهت بعض أو كلّ أعمالهما، فترى هذا يؤدّي عمله رئاء الناس، وذلك يؤدّيه خالصاً له تعالى.

المناهج الإلهيّة
تحقّق الهدف الأمثل

لو اعتبرنا أنّ السعي نحو المنافع بصورة عامة يتمثّل في مستويين:

الأوّل : السعي وتوجيه النظر نحو المنافع الآنية، وإنْ كانتْ صغيرة وضئيلة نسبة إلى غيرها، أو وخيمة العاقبة.

قال تعالى:﴿**إِنَّ هَؤُلَاءِ يُحِبُّونَ الْعَاجِلَةَ وَيَذَرُونَ وَرَاءَهُمْ يَوْماً ثَقِيلاً**﴾(الإنسان٢٧)

الثاني: السعي وتوجيه النظر نحو المنافع الكبيرة، وإنْ كانتْ مؤجّلة.

ولكلّ مستوىً من هذين المستويين درجات ومراتب مختلفة، تتفاوت في ما بينها، وبعض الأعمال تصنّف ضمن المستوى الثاني نسبةإلى الأقل منها، وضمن المستوى الأول نسبة إلى الارقى منها.

مثال من واقع الحياة

ومثال المستوى الأوَّل التاجر الذي يبيع بأسعار أغلى من غيره للحصول على ربح أكثر(منفعة آنية) دون التفكير بفقدان الزبائن مستقبلاً، ومثال الثاني التاجر الذي يبيع بأرباح قليلة كي يكسب زبائن أكبر وتزدهر تجارته بكثرة زبائنه، بينما الذي في المستوى الأوَّل قد يقل زبائنه إلى حدّ الإضمحلال.

ولا شك أنّ الشريعة الإلهية تتناسب أوامرها مع المستوى الثاني دون الأوَّل؛ ولذا فإن ما تسنّه مِن قوانين وتشريعات تكون بلحاظ النفع الأكبر والأمثل.

ومن هنا قد يصّح الرأي القائل بأن في تطبيق أحكام الشريعة منافع جمّة حتى لو لم تكن في إطار تعبّدي ونيّة القربى.

مصاديق تطبيقيّة

ولو طبّقنا المستوى الأوَّل على الكفرة بالشريعة اعتقاداً، وغير المطبّقين لها عملياً، فنسبة إلى ذلك نعتبر إنّ المؤمنين بالشريعة، العاملين بها، هم في المستوى الثاني، والعاملين بالشريعة - في ما يرتبط بالأحكام المعاملاتيّة، أو ما شابهها- دون الإيمان والإذعان بكونها من الله يَقعون بين هذين المستويين، وهؤلاء -الذين بين المستويين- وإن كانوا لا يجنون من الهدف الأسمى والأبقى شيئاً، أي: لا يجنون من نعيم الآخرة شيئاً بل يخلَّدون في عذابها، وهم من الخاسرين[١]، ولكنّهم بتطبيقهم الشريعة قدْ يجنون فوائد على المستوى المادي، ومنافع طويلة الأمد على المستوى الدنيوي، ومن أمثلة ذلك، تطبيق نظام الإقتصاد الإسلاميّ، أو النظام الإجتماعي، أو غير ذلك من التشريعات الإسلاميّة، والتي بتطبيقها منافع مادية جمّة على المجتمع المطبّق لها عموماً، مع انّ المنهج الإسلامي يتكون من مزيج يصعب انفكاك بعضه عن الآخر، وقد يتعذّر تطبيق احدى جزئياته دون الجزئيات الاخرى.

إذاً، فالمجتمع الذي يطبّق الشريعة الإلهية مؤمنا بها يكون من أصحاب المستوى الثاني ويضمن بذلك سلامة الحياة الابدية، وبما أنّ تلك الأحكام جُعلت وشُرِّعت من المولى عزّ وجلّ بشكل يؤدّي

١) كما اذا أراد أحد الأنظمة الكافرة أنْ يطبّق نظام الاقتصاد الإسلاميّ مثلا، وأن كان ذلك متعذّر ومحال في كثير من الاحيان.

إلى الحياة الدنيوية الأفضل، فيكون بالنتيجة انّ الذي يعمل على تطبيق الشريعة مؤمنا بها يضمن السعادة في الآخرى والحياة المثلى في الدنيا ﴿**وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَىٰ آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَاتٍ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ وَلَٰكِن كَذَّبُوا فَأَخَذْنَاهُم بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ**﴾(الأعراف ٩٦).

عودة الى موضوع البحث

نعود إلى موضوع بحثنا الرئيس، ونقول: صحيح بأننا نشترط في الظفر تطبيق المُثل الإلهية حتى لو تعارضت مع ما نتوقّعه من منافع، ولكنّ ذلك لا يتنافى ابداً مع كون تلك المُثل هي الاصلح، حتّى على الصعيد الدنيوي، ولوتساءلنا عن المستوى الذي تُعتَبر هذه المُثل افضل بالنسبة له، هل هو المستوى الأوَّل المحصور بالمنافع الآنية؟ بالطبع لا؛

فهذه التشريعات افضل بالنسبة للمستويات التي تبحث عن المنافع الكبيرة والطويلة الأمد، التي تتضاءل أمام ثمارها المنافع الآنية الصّغيرة.

أما من يبحث عن المنافع الآنية المحدودة، الضيقة على مستوى الزمان والمكان، والتي تؤثر نتائجها سلباً على المنافع الكبيرة الخالدة، فلا تناسبه هذه المُثل، بل ستكون عائقاً له، وسيعتبر نتائجها خسائر ﴿**وَإِنَّهُمْ لَيَصُدُّونَهُمْ عَنِ السَّبِيلِ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُم مُّهْتَدُونَ**﴾(الزخرف ٣٧).

والذي ينظر إلى آثار وثمار ثورة عاشوراء بعد هذه القرون المتطاولة يعي ذلك.

نماذج من تطبيقات الإمام الحسين ﵇ و اتباعه للمعايير الإلهية

١ - الإمام الحسين ﵇ وطلائع العدو:

ذكرنا سابقاً تعامل أمير المؤمنين ﵇ مع جيش معاوية عليه اللعنة، وهكذا كانت أخلاق الإمام الحسين ﵇ مع الحرّ الرياحي وكتيبته كتيبة الطليعة، حين التقوا بالركب المبارك للإمام ﵇ وقد أوشك العطش أن يفتك بهم.

إذ ذكر في الرواية انّه: « جَاءَ الْقَوْمُ زُهَاءَ أَلْفِ فَارِسٍ مَعَ الْحُرِّ بْنِ يَزِيدَ التَّمِيمِيِّ حَتَّى وَقَفَ هُوَ وَ خَيْلُهُ مُقَابِلَ الْحُسَيْنِ ع فِي حَرِّ الظَّهِيرَةِ وَ الْحُسَيْنُ وَ أَصْحَابُهُ مُعْتَمُّونَ مُتَقَلِّدُو أَسْيَافِهِمْ فَقَالَ الْحُسَيْنُ ع لِفِتْيَانِهِ اسْقُوا الْقَوْمَ وَ أَرْوُوهُمْ مِنَ الْمَاءِ وَ رَشِّفُوا الْخَيْلَ تَرْشِيفاً فَفَعَلُوا وَ أَقْبَلُوا يَمْلَئُونَ الْقِصَاعَ وَ الطِّسَاسَ مِنَ الْمَاءِ ثُمَّ يُدْنُونَهَا مِنَ الْفَرَسِ فَإِذَا عَبَّ فِيهَا ثَلَاثاً أَوْ أَرْبَعاً أَوْ خَمْساً عُزِلَتْ عَنْهُ وَ سَقَوْا آخَرَ حَتَّى سَقَوْهَا كُلَّهَا.

فَقَالَ عَلِيُّ بْنُ الطَّعَّانِ الْمُحَارِبِيُّ كُنْتُ مَعَ الْحُرِّ يَوْمَئِذٍ فَجِئْتُ فِي آخِرِ مَنْ جَاءَ مِنْ أَصْحَابِهِ فَلَمَّا رَأَى الْحُسَيْنُ ع مَا بِي وَ بِفَرَسِي مِنَ الْعَطَشِ قَالَ أَنِخِ الرَّاوِيَةَ وَ الرَّاوِيَةُ عِنْدِي السِّقَاءُ ثُمَّ قَالَ يَا ابْنَ أَخِي أَنِخِ الْجَمَلَ فَأَنَخْتُهُ فَقَالَ اشْرَبْ فَجَعَلْتُ كُلَّمَا شَرِبْتُ سَالَ الْمَاءُ مِنَ السِّقَاءِ فَقَالَ الْحُسَيْنُ ع اخْنِثِ السِّقَاءَ أَيِ اعْطِفْهُ فَلَمْ أَدْرِ كَيْفَ أَفْعَلُ فَقَامَ فَخَنَثَهُ فَشَرِبْتُ وَ

سَقَيْتُ فَرَسِي»[١].

«إنّ مثل هكذا مواقف تتزاحم فيها القيم الأخلاقيّة لكثرتها، فتجد فيها الرحمة والعطف والشفقة والإحسان والكرم من قِبَل الإمام عليه السلام على هؤلاء الجمع في تلك البيداء المقفرة التي تعزُّ فيها الجرعة الواحدة، وهو عالم بحراجة الموقف ونفاد الماء، وأنّ غداً دونه تسيل النفوس»[٢].

٢- مسلم بن عقيل عليه السلام وروح الإيمان:

«ذهب معظم المؤرخين إلى أن شريك بن الأعور مرض مرضاً شديداً في بيت هانئ بن عروة، أو في بيته، فانتهى خبره إلى ابن زياد، فأرسل إليه رسولاً يعلمه أنه آت لعيادته، فاغتنم شريك هذه الفرصة، فقال لمسلم:

« انما غايتك وغاية شيعتك هلاك هذا الطاغية، وقد أمكنك الله منه، وهو صائر إلي ليعودني فقم فادخل الخزانة، حتى إذا اطمأنّ عندي، فاخرج إليه فاقتله، ثم صر إلى قصر الامارة، فاجلس فيه فإنّه لا ينازعك فيه أحد من الناس، وان رزقني الله العافية صرت إلى البصرة فكفيتك أمرها، وبايع لك أهلها».

وكره هانئ أن يقتل ابن زياد في داره تمسكاً بالعادات العربية التي لا تبيح قتل الضيف والقاصد إليها في بيوتها فقال له:

«ما أحب أن يقتل في داري»

---

١) الإرشاد في معرفة حجج الله على العباد، ج٢، ص ٧٨.

٢) أخلاق الحرب في سيرة الإمام الحسين، مقالة.

فقال له شريك: «ولم فوالله انّ قتله لقربان إلى الله» ولم يعن شريك بهانئ والتفت إلى مسلم يحثّه على اغتيال ابن زياد قائلاً له: «لا تقصر في ذلك» وبينما هم في الحديث وإذا بالضجة على الباب فقد أقبل ابن مرجانة مع حاشيته، فقام مسلم ودخل الخزانة مختفياً بها، ودخل ابن زياد فجعل يسأل شريكاً عن مرضه، وشريك يجيبه، ولما استبطأ شريك خروج مسلم جعل يقول:

ما الانتظار بسلمى أنْ تحيوها حيوا سليمى وحيوا من يحيها
كأس المنيّة بالتعجيل فاسقوها

ورفع صوته ليسمع مسلما قائلا:

« لله أبوك اسقنيها وان كانت فيها نفسي»

وغفل ابن زياد عن مراده، وظن أنه يهجر فقال لهانئ:

- أيهجر؟

- نعم أصلح الله الأمير لم يزل هكذا منذ أصبح وفطن مهران مولى ابن زياد، وكان ذكياً إلى ما دبر لسيده، فغمزه ونهض به سريعا ...ولما ولى الطاغية خرج مسلم من الحجرة، فالتفت إليه شريك وقلبه يذوب أسى وحسرات قال له: «ما منعك من قتله؟»

« فقال مسلم: منعني منه خلتان: إحداهما كراهية هانئ لقتله في منزله،

والأخرى قول رسول الله صلى الله عليه وآله: انّ الإيمان قيد الفتك لا يفتك مؤمن، فقال له شريك: أما والله لو قتلته لاستقام لك أمرك، واستوسق

لك سلطانك.»[١] .

وهذا الدرس العظيم في مدرسة الإمام الحسين ﵇ يعلّمنا الالتزام بالمبادئ الحقّه في احلك الظروف، فمع كون ابن زياد طاغية فاسقاً، ويعمل ضد خليفة رسول الله الشرعي وحجة الله في أرضه ومع انّ قتله بحسب النظر العام يؤدّي إلى أنْ يستقيم الأمر لسفيرالإمام الحسين ﵇ مسلم بن عقيل، ومن ثمّ يستقيم الامر للأمام ﵇، إلا انّه قد اختلف مسلم مع شريك في رجحان قتله بهذه الطريقة، وهذا الاختلاف لو حللناه منطقياً لا يخلو من أنْ يكون ناشئاً عن الاختلاف في الرؤية والمعرفة للمعايير، أو ناشئا عن الاختلاف أو التفاوت في الالتزام بتطبيق تلك المعايير، فأفهم!

كيف يتحقّق الظفر؟

من الطبيعيّ أنّ يكون الشرط الأساس لتحقيق الظفر هو تطبيق المنهج الذي يؤدّي إلى الظفر، وكلّما كانت نسبة عناصر المجموعة الذين يتوافرفيهم هذا الشرط أكبر، كان احتمال ظفر المجموعة أكبر، كما أنّ مخالفة نسبة قليلة من المجموعة لمنهج الظفر تؤدّي في بعض الأحيان إلى خسارة المجموع بأكمله، فكم من مجموعة خسرت بسبب تخلّف أو تقصير نسبة قليلة من أفرادها، وكم من جيوش هُزمت بسبب ثغرة نتجتْ من جزءٍ صغيرٍ.

---

١) مقاطع من كتاب حياة الإمام الحسين للقرشي: ج٢، ص٣٦٢-٣٦٥.